

التوجيهات اللغوية
لظواهر الرسم القرآني
في القرن الخامس الهجري
أصول ونماذج

مطهر يوسف بن ناصر

دكتوراه في الأدب العربي

مؤسسة الخبير للاستشارات التربوية، كنو- نيجيريا

mutohiryusuf@gmail.com

المُلخَص

يعتبر القرن الخامس الهجري عصرًا ذهبيًا تبلور فيه علم رسم المصاحف وضبطها، وظهر فيه الاهتمام بفكرة توجيه ظواهر الرسم القرآني وتعليلها، إذ لم يكن العلماء قبله يُعنون بتوجيه الظواهر عنايتهم بتوصيف طريقة الرسم، والتفعيد لها.

وقد تمخض اهتمام علماء القرن الخامس الهجري بعلم رسم المصاحف عن ظهور مؤلفات عديدة أُفردت - لأول مرة - في توجيه ظواهر الرسم القرآني، وإن كان أكثرها قد ضاع مع الزمن، فقد بقيت منها إشارات ونصوص نقلتها إلينا كتب الرسم القرآني في العصور اللاحقة.

وكانت توجيهات ظواهر الرسم في القرن الخامس تتميز باستنادها إلى أسس لغوية تتعلق بالنطق والقراءة من جانب، والكتابة وتقاليدها من جانب آخر، وقد ظلت هذه التوجيهات اللغوية تنقلها الأجيال اللاحقة جيلًا بعد جيل حتى عصرنا الحاضر دون زيادة تذكر.

المقدمة

بسم الله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده.

أما بعد، فإن توجيه ظواهر الرسم مبحث مهم - في علم رسم المصاحف وضبطها - يؤمن لنا حفظ القرآن الكريم أن يطاله التحريف والتغيير، أو تنال من رسمه وضبطه شبهات المرجفين، إلا أن المبحث لم يلق من الباحثين والدارسين المحدثين العناية اللائقة بمكانته وقيمته، ولم يتوسعوا فيه توسعهم في دراسة توجيه القراءات.

وهذا ما حدا ببعض الغيورين على المصحف بالدعوة إلى تأسيس علم في توجيه ظواهر الرسم القرآني يستقل عن علم الرسم، على خطأ علم توجيه القراءات الذي قد استقل عن علم القراءات.

واستجابة للدعوة، ورغبة في الإسهام بشيء في هذا المجال، اخترت هذا الموضوع (التوجيهات اللغوية لظواهر الرسم القرآني في القرن الخامس الهجري.. أصول ونماذج).

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أنه يخدم القرآن الكريم.

أهداف البحث:

يتطلع البحث إلى تحقيق أهداف عدة أهمها:

- رصد التطور الذي طرأ على التوجيه اللغوي لظواهر الرسم القرآني عبر القرون.
- الوقوف على مستوى النضج الذي وصل إليه العلماء خلال القرن الخامس الهجري في التوجيه اللغوي لظواهر الرسم القرآني.
- سدّ بعض من الفراغ الذي تركه الباحثون في توسيع نطاق الدراسة في توجيه ظواهر الرسم القرآني.

حدود البحث:

يتحدد البحث بأنه يرصد التوجيهات اللغوية لظواهر الرسم القرآني خلال القرن الخامس الهجري.

منهج البحث:

سوف يستعين البحث بالمنهجين الآتيين:

- المنهج التاريخي، وذلك أثناء تتبع تاريخ تطور التوجيه اللغوي عبر القرون المختلفة.
- المنهج الوصفي التحليلي، وذلك أثناء تحليل النماذج المرصودة، من التوجيهات اللغوية، ولا سيما في القرن الخامس الهجري.

الدراسات السابقة:

لم أعثر على كتاب أو دراسة سابقة - في حدود علمي - تغطي مباحثها القرن الخامس الهجري، كما هي الحال في الخطة المرسومة لهذا البحث، وغاية ما وجدت هي دراسات نُشر أكثرها في مجلات علمية وأُفردت بالدراسة علماً من أعلام الرسم في القرن الخامس الهجري، ومنها:

■ مقال د. حسن عبد الجليل العبادلة (توجيهات الداني لظواهر الرسم القرآني)، المنشور في مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية)، المجلد 15، العدد 1، يناير 2007م.

■ مقال د. مها بنت عبد الله الهدب، (آثار الطلمنكي (ت: 429هـ) في علم رسم المصحف جمعاً ودراسة)، المنشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (77)، 2019م.

أسئلة البحث:

إن البحث سوف يحاول الإجابة عن هذه الأسئلة:

■ ما هو التوجيه اللغوي؟ وكيف نشأ وتطور عبر القرون المتقدمة؟

■ إلى أي مدى طرأ التطور على التوجيه اللغوي في القرن الخامس الهجري؟

■ ما أصول التعليل اللغوي في القرن الخامس الهجري وما نماذجه؟

هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد ومبحثان اثنان، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

ففي التمهيد يتم تحديد مصطلحات العنوان، وأما المبحث الأول فيُتبع فيه تطور التوجيه اللغوي عبر العصور المتقدمة، والمبحث الثاني والأخير يتركز الحديث فيه على التوجيه اللغوي في القرن الخامس الهجري وأصوله ونماذجه.

التمهيد

التعريف بمصطلحات العنوان

[1] الرسم القرآني: يقصد به الطريقة التي كتبت بها الكلمات القرآنية، ويطلق عليه الرسم العثماني ويراد به «الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن وحروفه⁽¹⁾»، كما يطلق عليه كذلك الرسم التوقيفي، ويعنى به «مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي⁽²⁾».

وللفظ (الرسم) في اللغة العربية مصطلحات أخرى مرادفة تطور استخدامها عبر القرون المتعاقبة، منها: (الخط والكتابة والزبر والسطر والرقم والرشم⁽³⁾ والهجاء والكتاب)، فكان مصطلح (الكتاب) الذي هو أحد مصادر فعل (كَتَبَ) - كما ذكر غانم قدوري - قد استخدم أولاً دون غيره علماً على رسم المصحف وكتابة الكتاب على السواء، وفي ذلك دلالة على أن رسم المصحف لم يكن يختلف في شيء عما كان يستعمله الناس في غير المصحف من الخط، فكان جميع ذلك يطلق عليه مصطلح (الكتاب)، فثمت جملة نصوص ترجع إلى القرنين الأول والثاني الهجريين تدل على ذلك، وربما امتد

(1) الزرقاني: مناهل العرفان (1/ 255).

(2) المارغني: دليل الحيران، (ص: 63).

(3) ينظر: نفسه.

استخدامه إلى فترات أكثر حداثة من ذلك، لكن يبدو أن مصطلح (الكتابة) الذي هو مصدر آخر من (كَتَب) قد حل مكانه في الاستعمال⁽¹⁾.
 أما (الخط والهجاء) فاستُخدما في وقت مبكر لاحق لاستعمال (الكتاب)، فصار مصطلح (الخط) يطلق على الكتابة عامة، ثم ظهر مصطلح (خط المصحف)، وفي فترات متأخرة ظهر مصطلح علم الخط، لكن الملاحظ أن مصطلح الخط صار أكثر دلالة على الجانب الفني للكتابة وصناعة الخطاطين، أما (الهجاء) - وهو من هجوت الحروف وتهجيتها هجوا وهجاء - فمعناه: تقطيع اللفظة بحروفها أو التلفظ بأسماء الحروف لا مسمياتها لبيان مفرداتها، فكأن الهجاء تعداد حروف الكلمة المكتوبة، ويلاحظ أن معظم المصادر الأولى التي ألفت في موضوع الخط والكتابة كانت تعرف بكتب (الهجاء) أو (هجاء المصاحف)⁽²⁾.

أما مصطلح الرسم العثماني أو رسم المصحف فقد كان استخدامه على ما يبدو متأخراً نسبياً، إذ إن كافة معاجم اللغة لا تذكر لمادة (رسم) غير معنى (الأثر)، ورسم كل شيء: أثره، والجمع رسوم، وربما كان استعمال الرسم للدلالة على خط المصحف إشارة إلى معنى الأثر القديم الذي يحرص المسلمون على المحافظة عليه، فظهر مصطلح (مرسوم الخط)، و(مرسوم خطوط المصاحف)، و(الرسم)، وما اشتق من نفس المادة، والجدير بالذكر

(1) ينظر: الحمد: رسم المصحف، (ص: 128).

(2) ينظر: المرجع السابق، (ص: 128-129).

أن كتاب أبي عمرو الداني (المقنع) مشحون بمصطلحات الكتابة كافة، ويظهر فيه نزوع شديد إلى استخدام مادة (رسم) للدلالة خاصة على خط القرآن، كما نجد الشيء نفسه في كتاب المهدوي: (هجاء مصاحف الأمصار)، وفي الفترات اللاحقة لعصر الداني بدأ مصطلح الرسم يتخصص بخط المصحف حتى غلب استعمال مصطلح (الرسم) في خط المصاحف، وإذا كانت المؤلفات الأولى في الرسم يغلب أن يطلق عليها مصطلح (هجاء المصاحف) فإن المؤلفات المتأخرة غلب عليها إطلاق مصطلح (الرسم والمرسوم)⁽¹⁾.

[2] ظواهر الرسم القرآني: الظواهر - ومفردها ظاهرة - اصطلاح جديد لم يستخدمه القدماء في مؤلفاتهم، ولم تُجمع على معناه الكتب الحديثة والمعاصرة، وغاية ما عرف عنه في معاجم اللغة العربية الحديثة أنه: «كل واقعة أو حدث يمكن إدراكها بالحواس والتجربة»⁽²⁾، وبعبارة أدق، هي كل حادثة يمكن ملاحظتها في الشيء، فتحدد سماته ومفهومه⁽³⁾، أو «حقيقة أو حادث غير عادي، أو نادر يمكن وصفه وإيضاحه على أساس علمي»⁽⁴⁾.

ولا يختلف هذا المفهوم العربي الحديث للاصطلاح عن مفهوم المعاجم الإنجليزية للفظة (Phenomenon)، فعلى سبيل المثال: جاء في

(1) ينظر: المرجع السابق (ص: 129).

(2) مهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (ص: 340).

(3) ينظر: التونجي: المعجم المفصل في الأدب (2/ 610).

(4) عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة (2/ 1443).

معجم جامعة أكسفورد البريطانية، أنها لفظة يونانية الأصل، تُجمَع على (Phenomena) وتطلق على أي حدث يمكن مراقبته⁽¹⁾.

فيقصد بظواهر الرسم القرآني: الكلمات القرآنية المرصودة التي ورد رسمها منوعاً أو مخالفاً للفظه، وفي أدق العبارة هي: «القواعد الست التي حصر فيها العلماء أمر الرسم عن طريق تتبعهم للكلمات التي يختلف رسمها عن نطقها، وهي الحذف، والزيادة، والهمز، والبدل، والفصل والوصل، وما فيه قراءتان فكتب على إحداهما⁽²⁾».

[3] التوجيهات اللغوية: يقصد بها إخضاع ظواهر الرسم القرآني تحت المقاسات اللغوية على اختلاف مستوياتها⁽³⁾.

إن القارئ المتأمل في مؤلفات الرسم القرآني قديماً يلاحظ غياب تحديد واضح لمفهوم التوجيه ومعالمه في مجال علم الرسم القرآني، وقد يكون سبب غياب ذلك في الكتب التراثية راجعاً إلى أن التوجيه فيها لم يكن سوى مباحث فرعية تتخلل توصيف رسم المصحف، وأن توظيفهم للمصطلح لم يتجاوز توظيفاً لغوياً محضاً أو اصطلاحياً منقولاً عن مجالات علمية قريبة من علم الرسم، كعلم القراءات الذي اكتسح التوجيه مساحة كبيرة بين مباحثه⁽⁴⁾.

(1) ينظر: <https://en.oxforddictionaries.com>

(2) الصافي: موقف الطاهر بن عاشور من الرسم العثماني (ص: 322).

(3) ينظر: كيحل: منير، التوجيهات اللغوية لظواهر الرسم القرآني (ص: 3).

(4) ينظر: بودفلة: فتحي، آفاق جديدة للبحث في علم الرسم العثماني (ص: 137).

ورغم ما شاع في مؤلفات علم الرسم القرآني الحديثة والمعاصرة من استخدام مصطلح التوجيه جنبا إلى جنب مع مصطلحين آخرين يرادفانه وهما: التفسير والتعليل، بحيث لا نكاد نمر بمؤلف في الرسم دون أن يقوم صاحبه بتوظيف هذه المصطلحات الثلاثة ولو بنسب متفاوتة، ورغم كل هذا، فإن المصطلح ما زال يفتقر إلى عناصر ومعالم يشتد بها عوده في مجال علم الرسم القرآني، كما كانت حاله في ميدان علم القراءات⁽¹⁾.

وفي هذه المناسبة تجدر بنا الإشادة بجهد الأستاذ فتحي بودفلة حين دعا إلى «تأسيس علم توجيه ظواهر الرسم العثماني، واستقلاله عن علم الرسم، على خطأ ونهج علم توجيه القراءات الذي استقل وانفصل عن علم القراءات⁽²⁾».

وقد تجرأ وجازف بتحديد مفهوم توجيه ظواهر الرسم القرآني، وقال بأنه: «فن الوقوف على قصد الصحابة ومنهجهم في ظواهر الرسم العثماني»، كما قام بتكوين عناصر عديدة للمصطلح يشتد بها عوده، ووتتحد بها المجالات المعرفية التي لا يكاد يخرج عنها مصطلح توجيه ظواهر الرسم القرآني، وذكر من هذه المجالات: الكتابة والإملاء، البنية اللغوية، الدلالات اللغوية، الجانب الفني الجمالي، الأحرف السبعة⁽³⁾.

(1) ينظر: المرجع السابق، (ص: 138).

(2) المرجع السابق، (ص: 136).

(3) ينظر: المرجع السابق، (ص: 139-140).

وقام باحثون آخرون بجهود جبارة في رصد توجيهات ظواهر الرسم القرآني في مؤلفات علم الرسم القديمة والحديثة، وتقسيمها إلى الأقسام الآتية: التوجيه اللغوي، وهو الذي عليه مدار الكلام، والتوجيه المعنوي، والتوجيه الفلسفي، والتوجيه بمناسبة رؤوس الآي، والتوجيه بأوجه القراءات، ثم التوجيه بالمحاذاة⁽¹⁾.

وذهب بعضهم بعد قيامهم باستقراء النماذج الواردة في توجيه ظواهر الرسم عند علماء الرسم القرآني قديماً وحديثاً إلى أن التوجيهات يمكن أن تحصر في اتجاهين اثنين: وهما: الاتجاه اللغوي، وهو مذهب جمهور علماء الرسم الأولين المستند إلى علل لغوية تتعلق بالنطق أو بالكتابة، والاتجاه الدلالي، وهو مذهب بعض المتأخرين المستند إلى أن الرسوم إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها في الوجود⁽²⁾.

(1) ينظر: العبادلة: مناهج الباحثين (ص: 35 وما بعدها).

(2) ينظر: الحمد: رسم المصحف بين التعليل اللغوي والتوجيه الدلالي (ص: 23).

المبحث الأول

التوجيه اللغوي لظواهر الرسم القرآني في العصور المتقدمة

أجمع الباحثون على اختلاف طبقاتهم وفتراتهم على أن توجيهات ظواهر الرسم القرآني في المصادر الأولى يغلب عليها الطابع اللغوي، فتكمن مهمتنا في هذا المبحث في تتبع نشأة هذه التوجيهات ذات الطابع اللغوي لظواهر الرسم القرآني، وتطورها خلال القرون المتقدمة على القرن الخامس الهجري:

[1] التوجيه اللغوي في القرن الأول للهجرة:

كان القرن الأول - وهو عصر النبي ﷺ وصحابته وتابعيهم الكرام - قد شهد انشغال الصحابة بكتابة الوحي من فم رسول الله ﷺ، ثم بتجميع المصاحف على اختلاف مراحلها، وبالطبع، لا يتوقع العثور على شيء يذكر في توجيه ظواهر الرسم القرآني، نتيجة انشغالهم بالتدوين والتجميع، غير أن روايات معدودة توهم بشيء من التوجيه، وتصنف الروايات فيما يأتي:

أولاً: روايات سأل فيها الصحابة سيدنا عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أو تساءلوا فيها فيما بين أنفسهم عن كيفية رسم بعض الكلمات في القرآن، ومن ذلك «ما أخرجه أبو عبيد (ت: 224هـ) بسنده عن هانئ البربري مولى عثمان قال: كنت عند عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب، فيها: (لم يتسنن)، وفيها: (لا تبديل للخلق)، وفيها: (فأمهل

الكافرين)، قال: فدعا بالدَّوَاةِ، فمحا إحدى اللامين، وكتب ﴿لِخَلْقِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾، ومحا (فأمهل) وكتب ﴿فَمَهْلٍ﴾⁽²⁾، وكتب: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾⁽³⁾ ألحق فيها الهاء⁽⁴⁾. وجاء في رواية أخرى: عن هانئ مولى عثمان أنه قال: «كنت الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت، فقال زيد: سَلَهُ عن قول: (لم يتسنَّ) أو (لم يتسنه)، فقال عثمان: اجعلوا فيها الهاء»⁽⁵⁾.

ثانياً: روايات أخرى تشي بشيء من التوجيه، منها:

(أ) ما ورد في صحيح الإمام البخاري في باب: (نزل القرآن بلغة قريش) أن سيدنا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لزيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا»⁽⁶⁾، ونقل الترمذي عن الزهري قوله: «فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه، فقال القرشيون: التابوت وقال زيد: التابوه، فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه (التابوت)؛ فإنه نزل بلسان قريش»⁽⁷⁾.

- (1) سورة الروم: من الآية (28).
- (2) سورة الطارق: من الآية (17).
- (3) سورة البقرة: من الآية (259).
- (4) أخرجه الهروي في فضائل القرآن، دون ترقيم (ص: 286).
- (5) المرجع السابق، دون ترقيم، (ص: 287).
- (6) أخرجه البخاري في صحيحه برقم: (4699)، (4/ 180).
- (7) أخرجه الترمذي في سننه برقم (3104)، (5/ 284).

(ب) ما روي عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنه قال: سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن لحن القرآن*: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَّحِرَانِ﴾⁽¹⁾، وعن قوله: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾⁽²⁾، وعن قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبُونَ﴾⁽³⁾، فقالت: يا ابن أختي، هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب⁽⁴⁾.

إلى غير هذه من الروايات التي وردت في كتب الأحاديث والسنن، والتي يفيد ظاهرها أنها توجيهات لغوية لظواهر الرسم في القرن الأول للهجرة، وهي في الواقع تميل إلى رواية هذه الظواهر ووصفها أكثر من تعليلها وتوجيهها.

* وفي تأويل هذا الخبر المروي عن أم المؤمنين عائشة، قال أبو عمرو الداني: إن عروة لم يسأل عن حروف الرسم التي تزد وتقص، وإنما سألها عن حروف القراءة المختلفة الألفاظ المحتملة الوجوه على اختلاف اللغات، مما أذن الله عزَّجَلَّ القراءة به، ومن ثم فليس ما جاء في الخبر من الخطأ أو اللحن بداخل في معنى المرسوم ولا هو من سببه في شيء، وإنما سمى عروة ذلك لحنًا، وأطلقت عائشة على مرسومه الخطأ على جهة الاتساع في الإخبار وطريق المجاز في العبارة، وينقل الداني أن بعض العلماء وكأنه يشير إلى ابن أخته قد تأول قول أم المؤمنين: «أخطئوا في الكتاب»، أي: أخطئوا في اختيار الأولي من الأحرف السبعة بجمع الناس عليه، لا أن الذي كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز، لأن ما لا يجوز مردود بإجماع، وإن طالت مدة وقوعه وعظم قدر موقعه. ثم ينقل أن هناك من تأول اللحن بأنه القراءة واللغة وكأنه يشير إلى ابن أبي داود كقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبِي أقرؤنا وإنما لندع بعض لحنه، أي قراءته ولغته.

ينظر: الداني: المقنع (ص: 121).

(1) سورة طه: من الآية (63).

(2) سورة النساء: من الآية (162).

(3) سورة المائدة: من الآية (69).

(4) أخرجه الجوزجاني، في سنن سعيد بن منصور، دون ترقيم (4/1507).

[2] التوجيه اللغوي في القرن الثاني للهجرة:

كان القرن الثاني للهجرة امتداداً لما كانت عليه الحال في القرن الأول الهجري، من حيث توصيف ظواهر الرسم دون الاهتمام بتعليلها، ولا سيما بعد ظهور المصادر الأولى في علم رسم المصحف التي كانت غايتها تدوين اختلاف رسوم مصاحف أهل الأمصار وتوصيفه؛ وذلك للحفاظ على الطريقة القديمة لرسم الكلمات القرآنية أمام تيار الرسم الإملائي الجديد الذي اصطلحت عليه المدارس النحوية في كل من البصرة والكوفة، وازداد تطلع العامة إلى استخدامه في كتاباتهم، ومن هذه المصادر الأولى: (كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق)، و(مقطوع القرآن وموصوله) كلاهما لإمام الشام عبد الله بن عامر اليحصبي (ت: 118هـ)، وتلميذه يحيى بن الحارث الذماري (ت: 145هـ) كتاب (هجاء المصاحف)، وتعزى للكسائي إمام الكوفة (ت: 189هـ) كتب عديدة في الموضوع منها: (اختلاف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة)، وكتاب (الهجاء)، وكتاب (مقطوع القرآن وموصوله)⁽¹⁾، إلى غير هذه من الكتب التي يظهر فيها انشغال العلماء بوصف ظواهر الرسم والتععيد لها عن العناية بتعليلها، فهذا لا ينفي البتة وجود أمثلة طفيفة للتوجيهات اللغوية رصدت أثناء الوصف والتععيد في هذه المصادر، ومن أمثلتها ما نقل عن أبي عمرو البصري (ت: 154هـ) عند تعليله لإثبات الألف في قوله: ﴿وَلَوْلُوا﴾⁽²⁾، بقوله: إنما أثبتوا

(1) ينظر: الحمد: رسم المصحف (ص: 139-141).

(2) سورة الحج: من الآية (21).

فيها الألف كما زادوها في (كانوا) و(قالوا)⁽¹⁾.

وما روي عن الكسائي (ت: 189هـ): «في زيادة الألف في نحو (كانوا)، و(قالوا) «لا أحسبهم فعلوا هذا إلا ليفرقوا بين الفعل الواقع للظاهر، والفعل الواقع على المكنى؛ وذلك نحو: (ضربوهم)، إذا كان الضمير مفعولاً لم يكتب ألفاً، وإن كان بدلاً من الواو في (ضربوا) كتبت ألفاً بعد الواو». وقال: «فكان الألف وقعت فصلاً بين ما يتصل وبين ما ينفصل»⁽²⁾، وقال عند زيادة الألف في ﴿وَلَوْلَوْآ﴾⁽³⁾: «إنما زادوها لمكان الهمزة»⁽⁴⁾.

ووجه الخليل الفراهيدي (ت: 170هـ) كتابة: ﴿الصَّلَاةُ﴾، ﴿الزَّكَاةُ﴾ ﴿الْحَيَاةُ﴾ أنها «كتبت على لغة من يفخم الألف التي مرجعها إلى الواو»⁽⁵⁾.

[3] التوجيهات اللغوية في القرنين: الثالث والرابع الهجريين:

استمر ترصد نماذج للتوجيهات اللغوية في ثنايا كتب الرسم خلال القرنين: الثالث والرابع في توسع كبير، وإن كانت لم تحظ باستقلالية كاملة بعد، ولا تزال «تعتبر نظرات جزئية لا تتناول إلا أمثلة محدودة لا تعطي تفسيراً شاملاً لظواهر الرسم»⁽⁶⁾.

(1) ينظر: السخاوي: الوسيلة، (ص: 260).

(2) نفسه.

(3) سورة الحج: من الآية (21).

(4) السخاوي: الوسيلة (ص: 260).

(5) الفراهيدي: العين (3/ 317).

(6) الحمد: رسم المصحف، (ص: 8).

ومن النماذج التي رصدت في مؤلفات علماء القرنين: قول الفراء (ت: 207هـ) في الألف في ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾⁽¹⁾ و﴿الظُّنُونَا﴾⁽²⁾ أن «أهل الحجاز يقفون بالألف، وقولهم أحب إلينا لاتباع الكتاب، ولو وصلت بالألف لكان صواباً؛ لأن العرب تفعل ذلك، وقد قرأ بعضهم بالألف في الوصل والقطع»⁽³⁾.

وتوجيه ابن قتيبة (ت: 276هـ) كتابة ﴿الصَّلَاةِ﴾، ﴿الزَّكَاةِ﴾، ﴿الْحَيَاةِ﴾، فقال «وقال بعض أصحاب الإعراب: إنهم كتبوا هذا بالواو على لغات الأعراب، وكانوا يميلون في اللفظ بها إلى الواو شيئاً، وقيل: بل كتبت على الأصل، وأصل الألف فيها واو فقلبت ألفاً لما انفتحت وانفتح ما قبلها، ألا ترى أنك إذا جمعت قلت: صَلَّوات وزَكَوات وحيَوات»⁽⁴⁾، ونسب أبو بكر الصُّولي (ت: 335هـ) -رسم الواو في الكلمات الثلاث ونحوها إلى لغة أهل الحجاز⁽⁵⁾.

وكذلك ابن مقسم النحوي (ت: 354هـ) حيث قال في رسم ﴿الرَّبَّاءِ﴾⁽⁶⁾: «إنما كتبت بالواو بناء على أصله؛ لأنه من رَبَّاءٍ يربو، فهو من ذوات الواو. وأصل اللفظ به: (الرَّبَّاءُ) فاستثقلوا الحركة في الواو فأسكنوها، فانقلبت ألفاً لسكونها

(1) سورة الأحزاب: من الآية (67).

(2) سورة الأحزاب: من الآية (10).

(3) الفراء: معاني القرآن (2/350).

(4) ابن قتيبة: أدب الكاتب (ص: 201).

(5) ينظر: الصولي، أدب الكتاب (ص: 255).

(6) سورة البقرة: من الآية (274).

وانفتاح ما قبلها، فردوها في الخط إلى أصلها⁽¹⁾».

وربط ابن فارس (ت: 395هـ) رسم المصحف بمذاهب أهل العربية بقوله: «ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم العربية: كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويون في ذوات الواو والياء، والهمز والمد والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء، وذوات الواو بالواو، ولم يصوروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكناً في مثل: «الخبء»، و«الدفء»، و«الملء» فصار ذلك كله حجة، وحتى كره من العلماء ترك اتباع المصحف من كره⁽²⁾».

ويكون من الأهمية بمكان الإشارة إلى مذهب في توجيه ظواهر الرسم القرآني ظهر في القرن الثالث ووصل صداه إلى العصر المعاصر، وكان المذهب يحمل ما خالف الرسم الإملائي في المصحف على خطأ الكاتب، ومن العلماء الذين اعتمدوا المذهب الفراء (ت: 207هـ)، فقال في قوله تعالى ﴿أَوْ لَا أَذْبَحْنَهُ﴾⁽³⁾: «فقد كتبت بالألف وبغير الألف، وقد كان ينبغي للألف أن تحذف من كله؛ لأنها لام زيدت على ألف... ذلك أنهم لا يكادون يستمرون في الكتاب على جهة واحدة، ألا ترى أنهم كتبوا ﴿فَمَا تَغْنِ التُّذْرُ﴾⁽⁴⁾ بغير ياء، ﴿وَمَا تَغْنِ لَأَيْتِ وَالتُّذْرُ﴾⁽⁵⁾ بالياء، وهو من سوء هجاء الأولين»⁽⁶⁾.

(1) السخاوي: الوسيلة (ص: 364).

(2) ابن فارس: الصحابي (ص: 18).

(3) سورة النمل: من الآية (21).

(4) سورة القمر: من الآية (5).

(5) سورة يونس: من الآية (101).

(6) الفراء: معاني القرآن (1/439).

وكذلك ابن قتيبة الذي ذكر بعد ما رصد عدداً من ظواهر الرسم القرآني «وليس تـخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أو أن تكون غلطاً من الكاتب، كما ذكرت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فإن كانت على مذاهب النحويين فليس هاهنا لحن، بحمد الله، وإن كانت خطأ في الكتاب فليس على الله ولا على رسوله ﷺ جنابة الكاتب في الخط، ولو كان هذا عيباً يرجع على القرآن لرجع عليه كل خطأ وقع في كتابة المصحف من طريق التهجي⁽¹⁾».

وكان ابن خلدون (ت: 808هـ) من أشد أنصار المذهب، فقد ذكر أن خطوط الصحابة غير مستحكمة في الإجادة، لذلك خالف رسومهم ما اقتضته صناعة الخط عند أهلها، وأن التابعين نقلوها عنهم من دون تبيين⁽²⁾، وندد بمن سمّاهم بالمغفلين وهم الذين يزعمون أن الصحابة «كانوا محكمين لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل، بل لكلها وجه، ويقولون في مثل زيادة الألف في (لأذبحنه): أنه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في (بأييد) أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض، وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط، وحسبوا أن الخط كمال فنزّهوهم عن نقصه، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل

(1) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن (ص: 41).

(2) ينظر: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون (1/ 526).

ما خالف الإجازة من رسمه، وذلك ليس بصحيح⁽¹⁾»، هذا الكلام بالصرامة إجحاف لحرمة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

كما وجد للمذهب أنصار من الباحثين المحدثين، فهناك واحد بينهم تستر تحت كنية (ابن الخطيب)، وعير خير القرون وأهلها بقوله: «لما كان أهل العصر الأول قاصرين في فن الكتابة، عاجزين في الإملاء لأمتهم وبدأوتهم وبعدهم عن العلوم والفنون، كانت كتابتهم للمصحف الشريف سقيمة الوضع غير محكمة الصنع، فجاءت الكتب الأولى مزيجاً من أخطاء فاحشة ومناقشات متباينة في الهجاء والرسم⁽²⁾»، ولم يكتف بهذا، بل إنه يعيب الرسم العثماني أن فيه «تناقضاً غريباً وتنافراً معيباً، لا يمكن تعليقه ولا استطاع تأويله⁽³⁾»، ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾⁽⁴⁾.

ولقد أبدى السيوطي امتعاضاً شديداً من هذا المذهب وأنصاره، وقال مستغرباً: «... كيف يظن بالصحابة أولاً أنهم يلحنون في الكلام فضلاً عن القرآن، وهم الفصحاء اللد! ثم كيف يظن بهم ثانياً في القرآن الذي تلقوه من النبي ﷺ كما أنزل، وحفظوه وضبطوه، وأتقنوه! ثم كيف يظن بهم ثالثاً

(1) المرجع السابق (1/527).

(2) ابن الخطيب: الفرقان (ص:57).

(3) المرجع السابق (ص:71).

(4) سورة الكهف: الآية (5).

اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابته! ثم كيف يظن بهم رابعا عدم تنبههم ورجوعهم عنه!⁽¹⁾.

وعلى العموم، نستخلص من كل ما سبق أن فكرة توجيه الظواهر لم تتبلور بعد في قرون ما قبل الخامس للهجرة، غير أن مؤلفات الرسم في تلك القرون «إنما قدمت لنا وصفاً دقيقاً أميناً - يثير الدهشة ويستحق الإعجاب - لطريقة رسم الكلمات في المصاحف العثمانية، ولولا ذلك الوصف لغابت عنا تفاصيل كثيرة تتعلق بتاريخ الكتابة العربية، وإذا ما عثرنا في تلك الكتب أو في كتب علماء العربية على تعليقات لبعض الظواهر، فإنها تعتبر نظرات جزئية لا تتناول إلا أمثلة محدودة لا تعطي تفسيراً شاملاً لظواهر الرسم⁽²⁾».

(1) السيوطي: الإتيان (2/ 270).

(2) الحمد: رسم المصحف، (ص: 8).

المبحث الثاني

التوجيه اللغوي في القرن الخامس الهجري

يتميز القرن الخامس الهجري بأنه القرن الذهبي الذي شهد تبلورا لافتا لفكرة التوجيه اللغوي لظواهر الرسم، وانطلاقة رسمية للكتب التي أفردت للتعليل، وإن كانت هذه الكتب قد ضاع نسخها الأصلية، ويذكر منها:

▪ كتاب (الرد والانتصار) لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي (ت: 429هـ)، فإذا اعتبر الكتاب مفقودًا الآن، فقد كان موجودًا في أوائل القرن الثامن الهجري، واطلع عليه أبو بكر اللبيب صاحب (الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة)، ونقل عنه بعض نماذج من التعليقات اللغوية تؤكد أن موضوع الكتاب هو الرد والانتصار لظواهر الرسم القرآني، ولعل الطلمنكي نسج بذلك على منوال ابن الأنباري (ت: 328هـ) في كتابه (الرد على من خالف مصحف عثمان)⁽¹⁾.

▪ (علل هجاء المصاحف) لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت: 438هـ)، لم يبقَ للكتاب أي أثر غير عنوانه الذي ورد في عدد من كتب التراجم، ويعزز من فرضية وجود كتاب بهذا العنوان اعتناء القيسي بتوجيه الرسوم في تفسيره (الهداية إلى بلوغ النهاية)، وعقد للتوجيه باين فيه: ذكر في

(1) ينظر: الهدب: آثار الطلمنكي في علم رسم المصحف (ص: 108).

الأول خط المصاحف في الحروف التي اختلف فيها القراء، وذكر في الثاني اختلاف القراء واختلاف المصاحف⁽¹⁾، كما يعزز أيضاً من فرضية وجود الكتاب قول القيسي في كتابه: (مشكل إعراب القرآن) بعد الانتهاء من تعليل زيادة الياء في رسم كلمة ﴿بِأَيِّكُمْ﴾⁽²⁾، «وهذا الباب يتسع، وهو كثير في الخط خارج عن المتعارف بين الكتاب من الخط، فلا بد أن يخرج من ذلك وجه يليق به وسنذكره إن شاء الله تعالى مستقصى معللاً في غير هذا»⁽³⁾.

■ (كتاب علل هجاء المصاحف) لأبي عمرو الداني (ت: 444هـ)، الكتاب مفقود كذلك، ولم يصل إلينا منه إلا إشارة مختصرة في كتاب: (المقنع) ذكرها الداني عند الإحساس بالحاجة إلى ذكر العلل، فقال: «وعلل ذلك مبينة في كتابنا الكبير»⁽⁴⁾.

■ (التبيين لهجاء مصحف أمير المؤمنين عثمان) لأبي داؤد سليمان ابن نجاح (ت: 496هـ)، ضاع الكتاب، ولم يعثر إلا على مختصره وهو لأبي داؤد نفسه، وفي مقدمته يقول: «سألني سائلون من بلاد شتى أن أجرد لهم من كتابي المسمى (التبيين لهجاء مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المجتمع عليه، وعلى سائر النسخ معه) دون سائر ما تضمنه الكتاب المذكور، من الأصول، والقراءات، والمعنى، والتفسير... والحجج والتعليل،

(1) ينظر: الحمد: رسم المصحف بين التعليل اللغوي والتوجيه الدلالي (ص: 29).

(2) سورة القلم: من الآية (6).

(3) القيسي: مشكل إعراب القرآن (2/ 75).

(4) الداني: المقنع، (ص: 37).

ليخف نسخه على من أرادته⁽¹⁾»، وكان يحيل إلى كتاب: (التبيين) المفقود أثناء ذكر العلل في (مختصر التبيين) ويسميه بـ(كتابنا الكبير)⁽²⁾.

وإذا كنا فقدنا هذه المؤلفات، وفوت علينا فقدانها إدراك مزيد من توسع فكرة التوجيه اللغوي ونماذجه في القرن الخامس الهجري، فإننا قد أفدنا كثيراً بما تضمنته مؤلفات أخرى في القرن نفسه من تعليقات لغوية إضافية لظواهر الرسم:

■ مثل كتاب: (المحكم في نقط المصاحف) للداني، وفيه أكد على أنه لا يوجد «شيء من الرسم ولا من النقط اصطلاح عليه السلف رضوان الله عليهم، إلا وقد حاولوا به وجهاً من الصحة والصواب، وقصدوا فيه طريقاً من اللغة والقياس؛ لموضعهم من العلم، ومكانهم من الفصاحة...»⁽³⁾.

■ وللداني كذلك كتاب: (المقنع في رسم مصاحف الأمصار)، وإذا كان الكتاب قد أُخْلِى «من بسط العلل وشرح المعاني لكي يقرب حفظه، ويخفف متناوله على من التمس معرفته من طالبي القراءة وكاتب المصاحف وغيرهم»⁽⁴⁾، فإن أبواب الكتاب اصطبغت بالصبغة اللغوية، ومن ذلك: (باب ما حذفت منه الألف اختصاراً)، و(باب ما حذفت منه الياء اجتزاءً بكسر ما

(1) ابن نجاح: مختصر التبيين (2/3-4).

(2) ينظر: الحمد: رسم المصحف بين التعليل اللغوي والتوجيه الدلالي (ص:30).

(3) الداني: المحكم، (ص:196).

(4) الداني: المقنع، (ص:12).

قبلها منها)، و(باب ذكر ما رسم بإثبات الياء على الأصل)، و(باب ذكر ما رسمت الألف فيه واوًا على لفظ التفخيم ومراد الأصل)، و(باب ذكر ما رسمت فيه الواو صورة للهمزة على مراد الاتصال أو التسهيل)⁽¹⁾.

■ وكتاب: (هجاء مصاحف الأمصار) لأبي العباس المهدي (ت: 430هـ)، وقد ذكر في المقدمة أنه سوف يثبت في الكتاب ظواهر الرسم القرآني، معتمداً على روايات «الأئمة المعنيين بعلوم التأويل مع ما أمكن فيه من احتجاج وتعليل»⁽²⁾.

■ وكتاب: (البديع في رسم مصاحف عثمان) لابن معاذ الجهني (ت: 442هـ)، وقد بين في الكتاب «ما رسم في مصحف عثمان بن عفان... وما قاله النحويون وأهل اللغة والقراء في ذلك بالإيجاز والاختصار»⁽³⁾.

وتتابع ظهور مؤلفات أخرى - نستطيع أن نقول - اكتملت بها أبعاد الرسم والتوجيه اللغوي لظواهره في القرن الخامس للهجرة، ثم أخذت المؤلفات بعد ذلك طابع الشروح، ثم اختصار تلك الشروح، ولم يبق أمام المؤلفين غير التقسيم والتبويب والمقارنة والوقوف على وجوه الاتفاق والاختلاف، ثم التعليل والتوجيه من خلال تلك الشروح⁽⁴⁾.

(1) ينظر: المصدر السابق، (ص: 20، 38، 51، 60، 61).

(2) المهدي: هجاء مصاحف الأمصار، (ص: 34).

(3) الجهني: البديع، (ص: 19).

(4) ينظر: الحمد: رسم المصحف (ص: 147).

واسترعى انتباهنا مذهب جديد ظهر في القرن الثامن الهجري من خلال كتاب: (عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل) لابن البناء المراكشي (ت: 721هـ)، وقد كان المذهب - كما في الكتاب - قائماً على أن رسم الكلمات في المصحف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها، وظل الكتاب - بخلاف ما نقل عنه الزركشي (ت: 794هـ) والسيوطي (ت: 911هـ) - يتيماً في مذهبه، قبل أن يظهر في العصر الحديث كتب ومؤلفات عديدة تبنت المذهب⁽¹⁾.

ويؤخذ على المعاني التي استخرجها ابن البناء المراكشي ومن سار على نهجه في توجيه ظواهر الرسم أنها: «محض اجتهاد من القائلين بها، وليس هناك ما يلزم الآخرين الاعتقاد بها، لا سيما أنها لا تستند إلى دليل عقلي، ولا إلى خبر نقلي، والمنهج العلمي يقتضي عرض الأقوال في المسألة الواحدة، وترجيح ما يقوم الدليل العلمي على رجحانه...»⁽²⁾، هذا بخلاف مذهب التوجيه اللغوي لظواهر الرسم القرآني الذي كان مبنياً على حقائق النطق وتقاليد الكتابة، وسوف ينجلي ذلك لاحقاً أثناء دراسة أصول التوجيه اللغوي ونماذجه في القرن الخامس الهجري.

(1) ينظر: الحمد: رسم المصحف بين التعليل اللغوي والتوجيه الدلالي (ص: 41).

(2) المرجع السابق (ص: 71).

[1] أصول التوجيه اللغوي في القرن الخامس الهجري ونماذجه :

أولاً: علل الحذف:

وجه علماء الرسم ظواهر الحذف في القرن الخامس توجيهات عديدة،
أهمها:

■ الاختصار، ويفهم معنى الاختصار في تعليل الطلمنكي لحذف الألف من ﴿جَاءُوا﴾ ونحوها، فقال: «أن الألفات إنما حذفت من الرسم؛ لكثرتين؛ لأن عدد ألفات القرآن العظيم على قراءة نافع ثمانية وأربعون ألفاً وسبعمائة⁽¹⁾»، وصرح الداني بالاختصار عند تعليل حذف الألفات بقوله: «باب ذكر ما حُذفت منه الألف اختصاراً⁽²⁾»، وعلل ابن نجاح حذف الألف قبل الهمزة من كلمة ﴿عَلِمُوا﴾ «استغناء عنها بفتحة ما قبلها، لبقائها ودلالاتها عليها ونيابتها عنها؛ اختصاراً وتقليلاً لحروف المد⁽³⁾».

■ كراهة اجتماع صورتين متفتحتين في الخط، ومن نماذجها قول الداني: «وما كان من الاستفهام فيه ألفان أو ثلاث، فإن الرسم ورد بلا اختلاف في شيء من المصاحف بإثبات ألف واحدة؛ اكتفاء بها لكراهة اجتماع صورتين فما فوق في الرسم⁽⁴⁾»، وقال ابن نجاح وهو يتحدث عن رسم الهمزة: «وكذا لا

(1) اللبيب: الدرر الصقيلة (ص: 223).

(2) الداني: المقنع (ص: 20).

(3) ابن نجاح: مختصر التبيين (4/ 939).

(4) الداني: المقنع (ص: 32).

ترسم المفتوحة خطأ إذا وقع بعدها ألف، ولا المكسورة إذا وقع بعدها ياء،
ولا المضمومة إذا وقع بعدها واوًا، لئلا يجتمع في الكتابة ألفان وياءان
وواوان⁽¹⁾»، وهي عند الطلمنكي كراهة استثقال حرفين متشابهين، فقال:
«... وكذلك الواوات والياءات حذفن لكثرتهم ولاستثقال حرفين متشابهين في
كلمة واحدة⁽²⁾».

■ **الاكتفاء عن الحرف، من ذلك تعليل المهدي حذف الياء من**
﴿فَارْهَبُونَ﴾ بقوله: «اجتزأ بالكسرة من الياء⁽³⁾»، وعلل غيره من علماء الرسم
التعليل نفسه.

■ **بناء الرسم على اللفظ والوصل، فهذا أحد قولي ابن معاذ الجهني**
وهو يعلل حذف الياء في الآية القرآنية ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁴⁾: «وفي
حذف الياء منها في الوقف قولان، أحدهما: أنهم بنوا فيها الخط على اللفظ، إذ
الخط نقل اللفظ في كثير منه، والقول الثاني: أنهم اجتزؤوا بالكسرة من الياء،
فحذفوها إذ الكسرة دالة عليها⁽⁵⁾».

(1) ابن نجاح: مختصر التبيين (2/48).

(2) اللبيب: الدرّة الصقيلة (ص:224).

(3) المهدي: هجاء مصاحف الأمصار (ص:85).

(4) سورة النساء: من الآية (146).

(5) الجهني: البديع (ص:52).

ثانياً: علل الزيادة:

وجه علماء الرسم في القرن الخامس الهجري الزيادة بعلة كثيرة أشهرها: الفرق وتقوية الهمزة، والدلالة على لغة التحقيق ولغة التخفيف، فقد وجه الداني زيادة الألف في ﴿مَائَةٍ﴾ بأحد أمرين «إما للفرق بين ﴿مَائَةٍ﴾ وبين (منه) من حيث اشتبهت صورتها، ثم ألحقت التثنية بالواحد، فزيدت الألف لتأتماً معاً على طريقة واحدة من الزيادة، وهو قول عامة النحويين... وإما تقوية للهمزة من حيث كانت حرفاً خفياً بعيد المخرج، فقووها بالألف، لتحقيق بذلك نبرتها، وخصت الألف بذلك معها من حيث كانت من مخرجها، وقد كانت الهمزة قد تصور بصورتها...⁽¹⁾»، وذهب الطلمنكي إلى أن زيادة الألف في ﴿مَائَةٍ﴾، و﴿مَائَتَيْنِ﴾ كانت لتقوية الهمزة فقط، ورد على النحويين القائلين بأن تكون للفرق، وقال: «هذه حجة ضعيفة، لا يقوم بها دليل، أما قولهم في الألف أنها زيدت في ﴿مَائَةٍ﴾ للفرق بينها وبين (منه)، فلا شيء زيدت في ﴿مَائَتَيْنِ﴾، وليس لها شكل تلتبس به، وإنما تقوية للهمزة من حيث كانت حرفاً خفياً بعيد المخرج، فقووها بالألف؛ لتحقيق بذلك نبرتها، وخصت الألف بذلك معها من حيث كانت من مخرجها، وقد كانت الهمزة قد تصور بصورتها⁽²⁾».

(1) الداني: المحكم (ص: 175).
 (2) اللبيب: الدرر الصقيلة، (ص: 430).

وعلى عدد منهم زيادة الياء في ﴿بِأَيْدٍ﴾، و﴿أَيِّكُمْ﴾ مرة على التخفيف وأخرى على التحقيق، منهم مكي بن أبي طالب القيسي، وقد قال: «وكتبت ﴿بِأَيِّكُمْ﴾⁽¹⁾ في المصحف في هذا الموضع خاصة بياءين وألف قبلهما، وعلّة ذلك أنهم كتبوا للهمزة صورة على التحقيق، وصورة على التخفيف، فالألف صورة الهمزة على التحقيق، والياء الأولى صورتها على التخفيف، لأن قبل الهمزة كسرة، فإذا خففتها فحكمها أن تبدل منها ياء، والياء الثانية صورة الياء المشددة، وكذلك كتبوا ﴿بِأَيْدٍ﴾⁽²⁾ بياءين على هذه العلة...⁽³⁾».

ثالثاً: علل البدل:

وأشهرها عند علماء الرسم في القرن الخامس الهجري:

■ مراعاة الأصل في ما رسم من الألفات بالواو، قال الطلمنكي: «كان أصل ﴿الصَّلَاةِ﴾، و﴿الزَّكَاةِ﴾، و﴿مَشْكُورَةٍ﴾، و﴿النَّجْوَةِ﴾، و﴿مَنْوَةٍ﴾: (صَلَاةٌ) و(زَكَاةٌ) و(مَشْكُورَةٌ) و(نَجْوَةٌ) و(مَنْوَةٌ) على وزن فَعْلَةٌ ومِفْعَلَةٌ، فلما تحركت الواو في جميعهن بالفتح انقلبت ألفاً؛ لانفتاحها وانفتاح ما قبلها؛ طلباً للتخفيف، فإذا جمعت جمع سلامة رجعت إلى الأصل، فتقول: صلوات، وزكوات، وحيوات، ومشكوات، ونجوات، ومنوات، وقد اتفق كتاب المصاحف على رسمهن بالواو والألف؛ ليستدل على أنها الأصل، وبالألف

(1) سورة القلم: من الآية (6).

(2) سورة الذاريات: من الآية (47).

(3) مشكل إعراب القرآن، (2/ 750).

على أنها المنقلبة عن الواو في اللفظ⁽¹⁾».

■ مراعاة الأصل والإمالة: قال ابن نجاح وهو يتحدث عن رسم كلمة ﴿يَتَمَّى﴾ بحذف الألف قبل الميم، وبالياء في آخرها «على الأصل ومراعاة الإمالة⁽²⁾»، وعن رسم ﴿أَبَى﴾ «بالياء، على الأصل والإمالة، مكان الألف الموجودة في اللفظ⁽³⁾».

■ مراعاة الأصل أو الفصل: علل المهدي ما رسم من هاءات التأنيث بالتاء بقوله: «فأما السبب الموجب لوقوع بعض هذه المواضع بالهاء، ووقوع بعضها بالتاء، في ما ذكره العلماء، فإنهم زعموا أن ذلك من المملي والكاتب، فإن المملي كان إذا وصل الكلمة التي فيها هاء التأنيث بالكلمة التي تليها انقلبت الهاء تاء في الإدراج، فكتبها الكاتب على اللفظ بتاء في الوصل، وإذا قطع الكلمة بما بعدها فقال: ﴿رَحْمَةً﴾، ﴿اللَّهُ﴾ كان لفظه بالهاء، فكتب الكاتب بالهاء على لفظه⁽⁴⁾».

■ الدلالة على جواز الوجهين: قال الظلمني في كتاب: (الرد والانتصار) عند توجيه رسم التاء تارة والهاء تارة أخرى «إنما كتب الصحابة بعض هذه الكلمات بالهاء وبعضها بالتاء ليروا جواز الوجهين والله أعلم بذلك⁽⁵⁾».

(1) اللبيب: الدررة الصقيلة (ص: 516).

(2) مختصر التبيين (2/ 112).

(3) المصدر السابق (2/ 119).

(4) المهدي: هجاء مصاحف الأمصار (ص: 40).

(5) اللبيب: الدررة الصقيلة (ص: 573).

رابعاً: علل الهمز:

- لظاهرة رسم الهمز عند علماء القرن الخامس الهجري توجهات عدة أهمها:
- مراعاة التخفيف والتسهيل، قال الداني: «إن أكثر الرسم ورد على التخفيف، والسبب في ذلك كونه لغة الذين وُلوا نسخ المصاحف زمن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهم قريش... فلذلك ورد أكثر الهمز على التسهيل، إذ هو المستقر في طباعهم والجاري على ألسنتهم⁽¹⁾».
 - مراعاة الموقع الإعرابي، ذكر اللبيب أن الطلمنكي قال: «رأيت في اللطائف في علم رسم المصحف) لعطاء بن يسار ﴿نَبَأٌ⁽²⁾﴾ بالألف على الأصل، وما عداه بالواو إذا كان في موضع رفع، فإن كان في موضع نصب فهو بالألف، نحو قوله تعالى: ﴿نَبَأٌ أَبْنَىٰ عَادَمَ⁽³⁾﴾، و﴿نَبَأٌ أَلِدَىٰ عَاتِيَنَهُ عَائِيَتَنَا⁽⁴⁾﴾ وما أشبهها⁽⁵⁾».
 - مراعاة اتساق الوزن الصرفي: قال الطلمنكي وهو يتحدث عن تعليل رسم الهمزة واوا في ﴿إِنَّا بَرَاءَةٌ وَأَمْنِكُمْ⁽⁶⁾﴾ بواو وبعدها ألف، وليس بين الراء والواو ألف: «...كتب ذلك كله ليدل على وزن فعلاء⁽⁷⁾».

(1) الداني: المحكم (ص: 151).
 (2) سورة التوبة: من الآية (70).
 (3) سورة المائدة: من الآية (27).
 (4) سورة الأعراف: من الآية (175).
 (5) اللبيب: الدرر الصقيلة (ص: 501).
 (6) سورة الممتحنة: من الآية (4).
 (7) اللبيب: الدرر الصقيلة، (ص: 507).

خامساً : علل الوصل والفصل :

ومما ورد في تعليل ظاهرة الوصل والفصل في الرسم القرآني ما ذكره الظلمني أن الفصل في ﴿كُلِّ مَآ﴾ كان مراعاة للموقع الإعرابي، فقد وردت هذه الأمثلة في ثمانية عشر موضعاً كلها موصولة، سوى خمسة مواضع، موضع منها مفصول باتفاق، وهو الذي معنا، وأربعة باختلاف، وهي: ﴿كُلِّ مَآ رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾⁽¹⁾، و﴿كُلِّ مَآ جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولَهَا﴾⁽²⁾، و﴿كَلَّمَ الْقَبِي فِيهَا فَوْجٌ﴾⁽³⁾، و﴿كَلَّمَ دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾⁽⁴⁾ والعمل على الفصل في موضعي النساء والمؤمنون، والوصل في موضعي الملك والأعراف⁽⁵⁾.

وذهب المهدي إلى جواز الوجهين بقوله: «وعلة وقوع بعض ما تقدم ذكره مقطوعاً، وبعضه موصولاً، وهو ما قدمناه من كتاب الكاتب على لفظ المملي، وكذلك المدغم، وذلك جائز؛ لأن (فيما) و (كيلا) وما أشبههما، هما في الأصل كلمتان، فإذا كتب ذلك مقطوعاً كان على الأصل، وإذا كتب موصولاً فلكثره الاستعمال، حتى صاراً ككلمة واحدة... وكل صواب مستعمل»⁽⁶⁾.

(1) سورة النساء: من الآية (91).

(2) سورة المؤمنون: من الآية (44).

(3) سورة الملك: من الآية (8).

(4) سورة الأعراف: من الآية (38).

(5) ينظر: المارغني: دليل الحيران (ص: 322-323)، والضباع: سمير الطالبين (ص: 134).

(6) المهدي: هجاء مصاحف الأمصار (ص: 49).

الخاتمة

خاتمة البحث وأهم نتائجه:

إن القرن الخامس الهجري يعتبر أفضل العصور التي مر عليها علم رسم المصاحف وأزهاها على الإطلاق، فلو لم يولد في القرن غير أبي عمرو الداني (ت: 444هـ) فلن ينقص ذلك من أفضليته شيئاً؛ لأن أبا عمرو الداني يعتبر أبرز من ألفوا في علم الرسم، وكان كتابه: (المقنع) يعتبر واسطة اجتمعت فيه جُلُّ روايات المصادر الأولى، ومرجعاً أساسياً استمدت منه المؤلفات التي ألفت بعده في لرسم معظم محتوياتها، واعتمدت على رواياته معظم مطابع المصاحف الشريفة.

وقد توصل البحث إلى نتائج كثيرة أهمها:

■ إن ظواهر الرسم القرآني يقصد بها القواعد الست التي حصر فيها العلماء أمر الرسم عن طريق تتبعهم للكلمات التي يختلف رسمها عن نطقها، وهي الحذف، والزيادة، والهمز، والبدل، والفصل والوصل، وما فيه قراءتان فكتب على إحداهما.

■ لوحظ غياب تحديد واضح لمفهوم التوجيه ومعالمه في مجال علم الرسم القرآني، وسبب ذلك راجع إلى أن التوجيه في المصادر الأولى في الرسم لم يكن سوى مباحث فرعية تتخلل توصيف رسم المصحف، وأن استخدام المصطلح فيها لم يتجاوز توظيفاً لغوياً محضاً أو اصطلاحياً منقولاً عن مجالات علمية قريبة من علم الرسم، كعلم القراءات الذي اكتسح التوجيه بين مباحثه مساحة كبيرة.

- التوجيهات اللغوية يقصد بها إخضاع ظواهر الرسم القرآني تحت المقاسات اللغوية على اختلاف مستوياتها.
- صنفت توجيهات ظواهر الرسم عند علماء الرسم القرآني قديماً وحديثاً في اتجاهين اثنين، وهما: الاتجاه اللغوي: وهو مذهب جمهور علماء الرسم الأولين المستند إلى علل لغوية تتعلق بالنطق أو بالكتابة، والاتجاه الدلالي: وهو مذهب بعض المتأخرين المستند إلى أن الرسوم إنما اختلفت حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها في الوجود.
- لم يكن العلماء في قرون ما قبل الخامس الهجري يُعنون بتوجيه ظواهر الرسم عنايتهم بوصف طريقة الرسم، والتععيد لها، وإذا ما عثرنا في مؤلفاتهم على تعليقات لبعض الظواهر، فإنها تعتبر نظرات جزئية لا تتناول إلا أمثلة محدودة لا تعطي تفسيراً شاملاً لظواهر الرسم.
- يتميز القرن الخامس الهجري بأنه القرن الذهبي الذي شهد تبلوراً لافتاً لفكرة التوجيه اللغوي لظواهر الرسم، واستقلالية في التأليف فيها، حيث إن علماء القرن أفردوا لها مؤلفات عديدة ضاع أكثرها مع التاريخ.
- إن أصول توجيهات ظواهر الرسم في القرن الخامس ونماذجها مستندة إلى أسس لغوية تتعلق بالنطق والقراءة من جانب، والكتابة وتقاليدتها من جانب آخر، وقد ظلت هذه التوجيهات اللغوية تنقلها الأجيال اللاحقة جيلاً بعد جيل حتى عصرنا الحاضر دون زيادة تذكر.

قائمة المراجع

- البخاري، محمد بن إسماعيل:
 - الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1987م.
- بودفلة، فتحي:
 - آفاق جديدة للبحث في علم الرسم العثماني.. توجيه ظواهر الرسم نموذجاً، مجلة الاستيعاب، بجامعة أبوبكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، المجلد الخامس، العدد الأول، 2023م.
- الترمذي، محمد بن عيسى:
 - الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد محمد شاكر وغيره، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- التونجي، محمد:
 - المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1999م.
- الجبني، ابن معاذ:
 - البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار ابن عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2000م.

■ الجوزجاني، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة:

- سنن سعيد بن منصور، تحقيق: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار العصيمي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، 1414هـ.

■ الحمد، غانم قدوري:

- رسم المصحف بين التعليل اللغوي والتوجيه الدلالي، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، بجامعة الأمير سطاتم بن عبد العزيز، العدد الأول، إبريل 2016م.

■ الحمد، غانم قدوري:

- رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، دار عمار للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 2001م.

■ ابن الخطيب:

- الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

■ ابن خلدون، عبد الرحمن:

- تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1988م.

■ الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد:

- المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر، دمشق، 1997م.

- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عمر:
- المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي،
مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ط، د.ت.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم:
- مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت الطبعة الأولى،
1996م.
- السخاوي، أبو الحسن علم الدين علي بن محمد:
- الوسيلة إلى كشف العقيلة، تحقيق: مولاي محمد الإدريسي الطاهري،
مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، 2003م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:
- الإتقان في علوم القرآن، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة،
تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1967م.
- الصافي، صلاح الصافي:
- موقف الطاهر بن عاشور من الرسم العثماني من خلال تفسيره التحرير
والتنوير، حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، مصر، العدد
العاشر، 2018م.
- الصولي، أبوبكر محمد بن يحيى:
- أدب الكتاب، تعليق: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، مصر،
د.ط، 1341هـ.

■ الضباع، علي محمد:

- سَمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، وزارة الأوقاف، الكويت، د.ط، د.ت.

■ العبادلة، حسن بن عبد الجليل:

- مناهج الباحثين في تعليل رسم آيات القرآن الكريم، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد السابع عشر، 1435هـ.

■ عمر، أحمد مختار وغيره:

- معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008م.

■ ابن فارس، أبو الحسين أحمد:

- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1997م.

■ الفراء، أبوزكريا يحيى بن زياد بن عبد الله:

- معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وغيره، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى، د.ت.

■ الفراهيدي، الخليل بن أحمد:

- العين، تحقيق: مهدي المخزومي وغيره، مكتبة دار الهلال، د.ط، د.ت.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم:
- أدب الكاتب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الرابعة، 1963م.
- تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2007م.
- القيسي، مكي بن أبي طالب:
- مشكل إعراب القرآن، تحقيق: ياسين محمد السواس، (مجمع اللغة العربية، دمشق، 1974م.
- كيحل، منير:
- التوجيهات اللغوية لظواهر الرسم القرآني في كتاب (إرشاد القراء والكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين، للإمام المخللاتي)، مجلة المعيار، قسنطينة- الجزائر، المجلد 26، العدد 63، 2022م.
- اللبيب، أبو بكر بن عبد الغني:
- الدرّة الصقيلة في (شرح العقيلة)، تحقيق: عبد العلي آيت زعبول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، 2011م.
- المارغني، أبو إسحاق إبراهيم:
- دليل الحيران على مورد الظمان، (دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت).
- مهندس، كامل وغيره:
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1984م.

- المهدي، أبو العباس أحمد بن عمار:
- هجاء مصاحف الأمصار، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار ابن الجوزي،
الرياض، د.ط، 1430هـ.
- ابن نجاح، أبو داؤد سليمان:
- مختصر التبيين لهجاء التنزيل، تحقيق: أحمد شرشال، مجمع الملك
فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، د.ط، 2002م.
- الهدب، مها بنت عبد الله:
- آثار الطلمنكي في علم رسم المصحف، مجلة جامعة أم القرى لعلوم
الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 77، 2019م.
- الهروي، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله:
- فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية وغيره، دار ابن كثير، بيروت،
لبنان، الطبعة الأولى، 1995م.

▪ <https://en.oxforddictionaries.com>